متداولات سورة الحشر

obeikandl.com

obeikandl.com

سورة الحشر

مدنية، آياتُها أربع وعشرون.

المحور الرئيسي الذي تدور عليه السورة الكريمة هو الحديث عن غزوة بني النضير.

روى البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: سورة بني النضير[1].

والقصة كما جاءت في السير.

نزلت هذه السورة في حادثة بني النضير، حي من أحياء اليهود في السنة الرابعة بعد الهجرة.

فلما بُعث النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة، كفروا به في جملة من كفر من اليهود، فهادن النبي ﷺ طوائف اليهود، الذين هم جيرانه في المدينة.فلما كان بعد وقعت بدر بستة أشهر أو نحوها، خرج إليهم وكلمهم أن يعينوه في دية الكلابيين الذين قتلهم عمرو بن أمية الضمري. فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس هاهنا، حتى نقضي حاجتك، فخلا بعضهم ببعض، وسوَّل لهم الشيطان الشقاء الذي كتب عليهم، فتأمروا على قتله ﷺ فقالوا: أيكم يأخذ هذه الرحى، فيصعد فيلقيها على رأسه يشدقه بها، فقال أشقاهم عمرو بن جحاش: أنا. فقال سلام بن مشكم: لا تفعلوا، فوالله ليُخبَرنَّ بما هممتم به، وإنه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه، وجاء الوحي على الفور إليه من ربه بما هموا به، فنهض مسرعًا، فتوجه إلى المدينة، ولحقه أصحابه فقالوا: نهضت ولم نشعر بك. فأخبرهم بما همت يهود، وبعث إليهم رسول الله ﷺ أن اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشرًا، فمن وُجِد بعد ذلك ضربت عنقه.

فأقاموا أيامًا يتجهزون، وأرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي ابن

---

(١) رواه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير، حديث (٤٠٢٩)، ومسلم بنحوه، كتاب: التفسير، باب: في سورة براءة والأنفال والحشر، حديث (٣٠٣١).

سلول: ألا تخرجوا من دياركم، فإني معي ألفين يدخلون معكم حصونكم، فيموتون دونكم، وتنصركم قبيلة قريظة وحلفاؤكم من غطفان. وطمع رئيسهم حُيي بن أخطب فيما قال له، وبعث إلى رسول الله ﷺ يقول: إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. فكبر رسول الله ﷺ وأصحابه، ونهضوا إليهم وعلي بن أبي طالب يحمل اللواء، وأقاموا على حصونهم يرمون بالنبال والحجارة، واعتزلتهم قريظة، وخانهم ابن أُبي وحلفائهم من غطفان، فحاصرهم رسول الله ﷺ وقطع نخلهم وحرَّق. فأرسلوا إليه: نحن نخرج من المدينة. فأنزلهم على أن يخرجوا منها بنفوسهم وذراريهم، وأن لهم ما حملت إبلهم إلا السلاح.

وقبض رسول الله ﷺ الأموال والسلاح، وكانت بنو النضير خالصة لرسول الله ﷺ لنوائبه ومصالح المسلمين، ولم يُخمسها؛ لأن الله فاءها عليه، ولم يوجف المسلمون عليها، بخيل ولا ركاب، وأجلاهم إلى خيبر وفيهم حيي بن أخطب كبيرهم، واستولى على ديارهم وأرضهم، وقبض السلاح، فوجد من السلاح خمسين درعًا، وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفًا. هذا حاصل قصتهم كما ذكرها أهل السير[1].

وقد منح الله النبي ﷺ أرض بني النضير هدية إلى فقراء المهاجرين[2]، وبذلك أعاد التوازن إلى المجتمع الإسلامي في المدينة.

---

(١) تفسير السعدي.

يقول الشيخ الغزالي - رحمه الله -: فإن اليهود في غفلة من المسلمين أقاموا لأنفسهم دولة، فما صنعوا بدولتهم؟

هل ذكروا الله بخير؟ هل جعلوا الحضارة الحديثة تؤمن باليوم الآخر؟ إنهم انتهزوا عجز المسلمين وتفريطهم. فزادوا الطين بلة، واتفقوا مع أوربا وأمريكا على دحر تراث السماء، وعبادة العجل الذهبي. وعندما يثوب المسلمون إلى رشدهم ويصطلحون مع ربّهم، فسيرثون الدولة ويرجع بنو إسرائيل إلى الأرض التي جاءوا منها.

(٢) فإن المهاجرين صُدرت أموالهم وبيوتهم في مكة، تحملوا هذه المحنة في ذات الله. مع أن الأنصار واسوهم وفتحوا لهم قلوبَهم وديارهم، إلا أن الحل الأمثل في توريث المهاجرين ما ترك اليهود، والتعليل المذكور في السورة ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ يعني المال.

وذكرت السورة المنافقين الذين تحالفوا مع اليهود ضد الإسلام[1].
ولذلك جاءت هذه السورة تدفع الناس دفعًا إلى معرفة الله، وإيثار ما عنده، وقربت الآخرة حتى جعلتها الغد المحقق.

* * *

(١) وفي عصرنا هذا عرب منافقون لا يرون حرجًا في أن يعيشوا مع اليهود ويقاسموهم حياة خشنة أو ناعمة، والواقع أن الفريقين لا دين لهم. فالدين عند اليهود ليس نقاء قلب وزكاة سيرة وسماحة يد، إنه أثره طافحة وصلف غريب.
والعرب المنافقون لا يصدقون أن الله أختار جنسهم لرفع المستوى الروحي والعقلي للناس، إنّهم طلاب حياة وحسب!! فلا عجب إذا ألف أحدهم الآخر وأيده.

obeikandl.com

النداء الأول
محاسبة النفس

يقول الله - تعالى-:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

المعنى:

يأمر - تعالى- عباده المؤمنين بما يوجبه الإيمان ويقتضيه من لوازم تقواه، سرًا وعلانية، في جميع الأحوال، وينظروا ما لهم وما عليهم، فإنّهم إن جعلوا الآخرة نصب أعينهم، اجتهدوا في كثرة الأعمال الموصلة إليها، وإذا علموا أيضًا أن الله خبير بما يعملون، لا تخفى عليه أعمالهم ولا تضيع لديه، ولا يهملها أوجب لهم الجد والاجتهاد [١].

وعين الله على كل قلب في كل لحظة، فمتى يأمن ألا يراه؟ هذه الآية أصل في محاسبة النفس.

أخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم من الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية [٢].

فوائد محاسبة النفس:

أولاً: الإطلاع على عيوبها، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته.

روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في جنب الله، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أشد مقتًا [٣].

---

(١) تفسير السعدي.

(٢) **ضعيف**: رواه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، حديث (٢٤٥٩)، وابن المبارك في الزهد (١٠٢/١) حديث (٣٠٦) . وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١٠/٧) حديث (٣٤٥٨٤)، ومعمر بن راشد في الجامع (٢٥٥/١١)، وابن أبي عاصم في الزهد (١٣٤/١) .

وعن عقبة بن صهبان الهنائي قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣٢]. قالت: يا بني هؤلاء في الجنة؛ أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك، فجعلت نفسها معنا [1].

ثانيًا: يعرف العبد حق الله - تعالى- فإن ذلك يورثه مقت نفسه، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي ربه، وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته.

فإن من حقه أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، فإذا عرف العبد ربه، عَلِمَ عِلْم يقين أنه غير مؤدٍ له كما ينبغي حقه وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل إلى عمله هلك.

ثالثًا: يقارن بين منن الله عليه وإحسانه، وبين تقصيره فإن ذلك يوجب الحياء لا محالة، والحرمان كل الحرمان أن يغفل العبد عن هذا الأمر.

﴿ولا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ فيشبه قومًا نسوا الله، وغفلوا عن ذكره، والقيام بحقه﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أقبلوا على حظوظ أنفسهم وشهواتِهم فلم ينجوا، ولم يحصلوا على طائل، بل أنساهم الله مصالح أنفسهم، وأغفلهم عن منافعها وفوائدها.

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠] فهؤلاء استحقوا جنات النعيم والعيش السليم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والشهداء والصالحين.

من لطائف القرآن الكريم :

الأولى: أثبت مصير أصحاب الجنة، ويدع مصير أصحاب النار مسكوتًا عنه معروفًا، وكأنه ضائع لا يُعنى به.

---

(١) **ضعيف جدًا**: رواه الحاكم في المستدرك (٤٦٢/٢) حديث (٣٥٩٣)، والطبراني في الأوسط (١٦٧/٦) حديث (٦٠٩٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩٧/٧)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه الصلت بن دينار، وهو متروك.

الثانية: أن السورة تفيد أن هذا أول الحشر، كأن هناك حشرًا آخر ينتظر القوم من الغد القريب أو البعيد.

المعنى الإجمالي :

لما بيّن لعباده ما بين، وأمر عباده ونهاهم في كتابه العزيز، كان هذا موجبًا لأن يبادروا إلى ما دعاهم إليه، وحثهم عليه، ولو كانوا في القسوة وصلابة القلوب كالجبال الرواسي، فقال - تعالى-: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ .

فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن، والتدبر لمعانيه[1].

والذين أحسوا شيئًا من مس القرآن في كيانهم يتذوقون هذه الحقيقة، ثم أخبر - تعالى- أنه يضرب للناس الأمثال ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]. يوضح لعباده الحلال والحرام؛ لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للناس خزائن العلم.

والسؤال الذي لابد من الإجابة عنه: متى يتدبر المسلمون القرآن؟ متى يصطبغون بروحه ويعيشون في ظل أحكامه؟ متى يمشون تحت علم القرآن؟

إن نبيهم قاد أمته من المسجد، ورفع مستواها العلمي والخلقي من صفوفه المتراصة وراءه، فلما اتصلوا بالمشارق والمغارب نقلوا الجماهير من الأرض إلى السماء بهذا الكتاب.

ولقد ختمت سورة بني النضير بنحو عشرين اسمًا من أسماء الله الحسنى.. تشرح طبيعة العلاقة بالله الواحد، وتعلي هذه العلاقة كي تحيط بالنشاط الإنساني كله.

ما ترشد إليه الآيات :

١- محاسبة النفس، قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبدًا وقف عند همه، فإن كان لله أمضاه وإن كان لغيره تأخر.

---

(١) تفسير السعدي.

٢- من غفل عن ذكر الله أنساه الله مصالحه فيصعب عليه الطاعة ويحرم التدين، إن الله يعطي الدنيا للبر والفاجر ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فيحرم حب الله ﷻ فرجع بخسارة الدارين، وغبن غبنًا لا يمكن تداركه ولا يجبر كسره لأنّهم هم الفاسقون الذين خرجوا عن طاعة ربّهم[1].

٣- لا أنفع للعبد من التفكر في القرآن، والتدبر لمعانيه.

* * *

(١) يقول الإمام الغزالي - رحمه الله -: يا أيها الغافل عن نفسه، المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكير فيما أنت مرتحل عنه، واصرف الفكر إلى موردك، فإنك أخبرت بأن النار مورود الجميع، إذ قيل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًا . ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢] فأنت من الورود على يقين، فتستشعر في قلبك هول ذلك المورد، فعساك تستعد للنجاة منه، ثم انظر بعد هذا من نتن الصيد الذي يسيل من أبدانهم حتى يغرقون فيه.

obeikandl.com